الشرق الاوسط
في المدرك الاستراتيجي الروسي بعد عام ٢٠٠٠

م.د. محمد كاظم عباس المعيني
كلية النسور الجامعة-قسم القانون

هنالك تغير ملحوظ في نهج السياسة الخارجية الروسية بعد حلول الالفية الجديدة مقارنة بحقبة التسعينات من القرن الماضي، وكان لتولي الرئيس "فلاديمير بوتين" السلطة في نيسان ٢٠٠٠ الاثر الكبير في تبني استراتيجية تهدف الى تدعيم السلطة المركزية وتشديد قبضتها على المؤسسات السياسية والاقتصادية؛ فقد عادت روسيا لتلعب دورا فاعلاً في الساحة الدولية وتتخذ مواقف واضحة في العديد من القضايا، وبعقيدة براغماتية فكت ارتباطها بدور اللاعب الملحق الى لاعب أساسي آخر في النظام الدولي،

Abstract

There is a marked change in the approach of Russian foreign policy in recent years compared to the era of the nineties of the last century, the assumption of President "Vladimir Putin" in April 2000 had a great impact in adopting a strategy aimed at strengthening the central authority and tightening its grip on political and economic institutions; Russia has returned to play An active role in the international arena and taking clear positions on many issues, and with a pragmatic ideology

الكلمات المفتاحية: الشرق الاوسط، الاستراتيجية الروسية، سوريا، الصراع، النظام العالمي

المقدمة

تعد منطقة الشرق الاوسط من اكثر مناطق العالم اهمية لما تملكه من موقع استراتيجي مؤثر، فضلاً عن محتواها من موارد الطاقة والموارد الطبيعية الاساسية الاخرى، الامر الذي دعا كثيراً من القوى قديماً وحديثاً الى محاولة بسط النفوذ والسيطرة عليها مستخدمة كافة الوسائل المتاحة، وبناء على ذلك حاولت القيادة الروسية الجديدة منذ استلام الرئيس "بوتين" زمام السلطة فيها؛ ان تبحث عن تدابير ووسائل مناسبة لايجاد الطريق للوصول الى تلك المنطقة الحيوية من العالم، ولقد وفرت مرحلة ما بعد الربيع العربي البيئة والمنفذ لروسيا للولوج في المنطقة قسراً، فلم تعد روسيا راضية بلعب دور إسمي فيها، وتريد إثبات نفسها كقوة عالمية مقتنعة بوجوب امتلاكها للقدرة والإرادة السياسية لممارسة النفوذ ولعب دور في ما يتجاوز جوارها القريب؛ وان تملك مقعداً على طاولة المفاوضات والقرارات الرئيسة، مع سعيها لتنصيب نفسها كقوة حامية للقيم التقليدية واحترام سيادة الدول، وتقف بالضد من التغييرات الفوضوية والسياسات التدخلية التي يمارسها الغرب، فروسيا ليست منغمسة بعمق في المنطقة كحال الولايات المتحدة، وترى موسكو أنّ الانغماس الامريكي في الشرق الأوسط قد بلغ حد الانهاك بسبب الحروب الباهضة التي شنتها في العراق وأفغانستان، وعلى النقيض من ذلك عدم رغبتها بالتدخل عسكرياً بشكل حاسم في سوريا، على الرغم من دعوات واشنطن للأسد للتخلّي عن السلطة، من خلال هذا المنظور؛ فان سياسات الغرب التي تنفر من المجازفة سوف لن تأتي إلا بالقليل من النتائج المثمرة في المنطقة، وهذه السياسات اعطت انطباعاً وتصوراً لدول الشرق الاوسط بأن الولايات المتحدة غدت أقل حزماً ضمن النطاق الإقليمي، مما يمنح روسيا منفذاً إضافياً إلى داخل المنطقة. تهدف دراستنا هذه الى محاولة معرفة توجهات ادارة الرئيس "بوتين" بشكل خاص نحو منطقة الشرق الاوسط، وماهية الآليات المتبعة لتحقيق تلك السياسات، وتأتي اشكالية الدراسة من طرح عدة تساؤلات تدور حول المحرك الاساسي للسياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، هل هو طلب للمكانة العالمية؟ ام سعيها

وراء أغراض نفعية برغماتية مع الالتزام باقل ما يمكن من القيود السياسية التي يلتزم بها الغرب؟ وللاجابة عن هذه التساؤلات تفترض الدراسة إن السعي وراء تحقيق كل تلك التساؤلات أمر جوهري في الاستراتيجية الروسية العالمية، ويعتمد ذلك بشكل رئيس على الموارد المتاحة والفرصة المناسبة، إلا إنه لا توجد إشارة إلى احتمال أن تستثمر جيشها أو حتى رأس مال سياسي كبير لدعم أي دولة شرق أوسطية في المدى المنظور سوى سوريا، لما تشكله من مجال حيوي جيوستراتيجي لموسكو تستطيع من خلاله تحقيق حلمها القديم بالحصول على موطئ قدم ومنفذ للمياه الدافئة.

المحور الاول: الرؤية الاستراتيجية الروسية لمنطقة الشرق الاوسط

ثمة اتفاق عام بين المختصين بشؤون الشرق الاوسط السياسية على عدم تمتع هذه المنطقة الحيوية بأولوية الاهتمام ضمن المشاريع والخطط والسياسات السوفيتية إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية فترة الخمسينيات من القرن الماضي، اذ تركزت العلاقات السياسية الخارجية السوفيتية بعد هذه المدة نحو تركيا وايران بشكل كبير وواضح، لما لهما من موقع استراتيجي متميز يؤثر بشكل مباشر على المصالح السوفيتية الحيوية والامنية، في المقابل لم تكن المنطقة العربية محط تركيز للسياسة الخارجية السوفيتية وذلك لأسباب عدة منها[1] :-

١- عدم وجود ترابط ثقافي او تاريخي مشترك مع دول المنطقة.

٢- خضوع المنطقة للسيطرة الاستعمارية الغربية.

٣- انشغال موسكو الى درجة كبيرة بإعادة بناء قوتها بعد الحرب.

وما ان بدأت الحرب الباردة حتى بدأ القطبان الرئيسان يبديان اهتماماً كبيراً في منطقة الشرق الاوسط ولاسيما الاتحاد السوفييتي ضمن منظور جيوستراتيجي جديد اسماه الرئيس الامريكي الاسبق "هاري ترومان" التهديد السوفييتي الجديد لدول منطقة الحزام الشمالي **Northern Tier** والذي يضم كل من (تركيا، ايران، واليونان) [2]، وبذلك بدأ الصراع الحقيقي بين القطبين خلال هذه الفترة ولغاية انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١.

اولاً: الطموح الجيوستراتيجي الروسي

وفقاً للمنطق الاستراتيجي تشكّل روسيا كتلة قارية واسعة تتماهى مع مفهوم قلب العالم **Heart Land** التي حددها "ماكندر" في مقاله (المحور الجغرافي للتاريخ) بانها المدى المكاني الروسي الكبير، وهي محور التاريخ، وبذلك تشكل روسيا من الغرب والشرق الاوراسي وحدة نسيجية تضم في جنباتها مجمل التوجهات الغربية والشرقية على حد سواء؛ اذ تشكل روسيا نمطاً خاصاً مستقلاً ومتوسطاً لا اوربي ولا اسيوي وهي تتطابق الى حدٍ كبير مع الاوراسية نفسها[٣] .

واتساقاً مع هذا المنطق الاستراتيجي؛ فان هذه الكتلة القارية المستقلة يتماهى امنها واستقرارها مع امن واستقرار آسيا برمتها، وهذا ما لا ينطبق على اية دولة اخرى كـــــ (الصين، الهند، المانيا)، على اعتبار ان هذه الدول وان تصرفت كقوة قارية؛ فانها تبقى بالنسبة لروسيا دول الحافة او الهلال الداخلي **Rimland** ، في حين تبقى روسيا في منطقة القلب **Heart Land** بكل ما يعطيه هذا الموقع من ميزات جيوبوليتيكية مهمة، مما يدل على وجود تناغم وتداخل في المصالح الاستراتيجية الروسية مع مصالح القارة ككل[٤] . وهذا لا يمنع ان تكون المصلحة العليا الروسية محافظة على خصوصيتها امام تحدي الغرب وتقاليد الشرق من دون ان يعني ذلك الانعزالية التامة؛ فمع الاعتراف بتلك الخصوصية، نرى عدة توجهات داخل المجتمع الروسي، اولهما موضوعة الانفتاح، والآخر انعزالي ضعيف، فبالنسبة لمؤيدي سياسة الانفتاح يمكن تقسيمهم الى ما يلي:-

١- قسم يؤيد الانفتاح على الشرق، ويسمى بالتوجه الآسيوي.

٢- قسم يؤيد الانفتاح نحو الغرب (الغربنة).

٣- قسم آخر يقترح انفتاحاً متساوياً على الجهتين، ويتمثل ذلك ببعض اتجاهات الاوراسية الجديدة.

ان معركة الروس من اجل استعادة مكانتها ضمن النسق الدولي الجديد لم تنتهِ بعد، وهناك امل لدى الشعب الروسي في بناء امبراطورية اوراسية قارية عظمى جديدة، وان التطبيق الجيوبوليتيكي الداعم لهذا الطرح يتمثل في رسم وتشكيل روسيا الاوراسية والتي واجهت في الفترة التي تلت احداث ١١ ايلول تنافساً محموماً في الجزيرة المقابلة لها (امريكا)، وبالتالي اصبحت الضرورة الاستراتيجية تحتم اقامة التحالف الأوراسي في منطقة الهلال الداخلي **Rimland**، او على اقل تقدير تأمين الحياد الكامل لأكبر عدد من دول الحافة الداخلية، من اجل ان تكون روسيا قوة جيوبوليتيكية قارية مستقلة فعّالة؛ فاليوم يمكننا تحديد المواجهة الاستراتيجية اما بالسيطرة والتفوق الامريكي الاطلسي على العالم من خلال العولمة **Globalization**، او تقسيم العالم الى مجالين او اكثر يمتازان بمستوى من الاستقلالية السياسية والعسكرية القارية[٥] .

لذلك يجب ان تبنى ملامح امبراطورية الروس الجديدة على اساس التخلص من ارث الفشل التاريخي السابق على جميع المستويات بالتزامن مع وضع رؤية استراتيجية ذات نمط يتناسب مع البيئة الاقليمية والدولية، وعليه يجب وضع اسس حقيقية ذات سمات جديدة تؤَمن لها قيام امبراطوريتها وفقاً للمعايير التالية[٦] :-

١- صياغة ايدولوجية تتمتع ببنية (اثنية – دينية) تعددية ومرنة لا تتقاطع مع الخصائص المحلية، الاثنية، الدينية، الثقافية، والاخلاقية، والابتعاد عن ايدولوجيتها المادية والالحادية.

٢- تأسيس نظام اقتصادي لامركزي، يتسم بالمرونة ويعمل على اشراك الشعب في قضايا التوزيع، وتقليص الدورة الاجتماعية.

٣- تجاوز التخندق القومي السلافي واعطاء رسائل تطمين للغرب (المانيا)، والشرق (اليابان) واعتماد سياسة الانفتاح نحو المشاريع الاوراسية التي تعزز اواصر التعاون والتكامل بين تلك الاطراف.

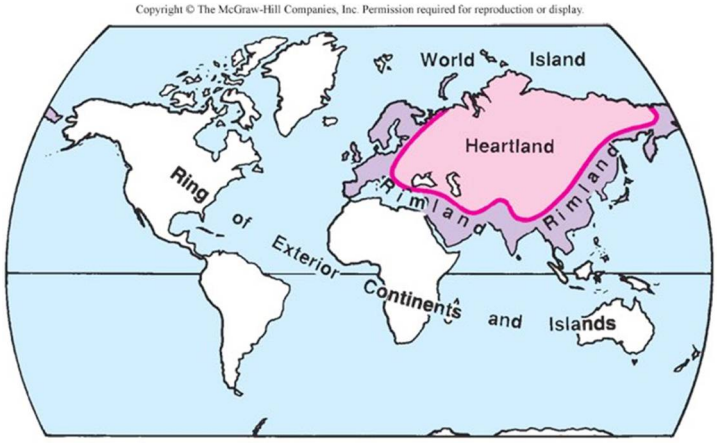

خريطة نظرية قلب العالم، على الرابط:

https://www.google.com/search?q

فالمنطق الجيوبوليتيكي لتوحيد اوراسيا في اطار امبراطورية لم يكن قابلاً للتحقق على اساس وجود المعسكر الشرقي، علاوة على هيمنة الولايات المتحدة الامريكية لمنطقة الهلال الداخلي **Rimland** الغربية والشرقية باستخدام قوتها الذكية ومهارتها الدبلوماسية الى درجة لم تسمح بتشكيل هذه الامبراطورية او التكامل القاري، بل وساعدت على انهيار الثنائية القطبية؛ وبذلك شكّلت ضربة قاصمة للاستقلال القاري او الاوراسي المحتمل لمصلحة روسيا[٧].

انسجاماً مع هذا الطرح، اذا لم تأخذ روسيا زمام المبادرة والشروع بإعادة بناء الاوراسية وتجميع الامبراطورية في نسقها الجيوبوليتيكي؛ فان دولاً او تحالفات اخرى ستبادر في اعلان نفسها (قلعة اوراسيا) الجديدة وسيتحول على اثر ذلك الاهمية الاستراتيجية الى منطقة الهلال الداخلي **Rimland** بدلاً من منطقة القلب **Heartland** ليتوافق مع ما ذهب اليه "راتزل"، واستناداً لذلك؛ فقد تقفز الصين باتجاه روسيا ودول اسيا الوسطى فضلاً عن الهند وجنوب شرق اسيا لتحتل مكان الصدارة في هيكل النسق الدولي، او يتحرك وسط اوروبا (المانيا) نحو اوكرانيا، بيلاروسيا، روسيا، ليشكل قوة اقليمية فاعلة داخل اوروبا، او

يقوم المعسكر الاسلامي بمحاولة التكامل مع دول اسيا الوسطى وبعض مناطق جنوب روسيا، او ما يتعلق بالتنافس والصراع التركي – الايراني في اقامة او تحقيق درجة من النفوذ في منطقتي بحر قزوين وآسيا الوسطى مستغلين اي تراجع وانكماش للقوة الروسية، وهما بحق يعدان لاعبان جيوستراتيجيان مهمان في المنطقة[٨] ؛ لكن من الطبيعي ان يستدعي ذلك الامر ردة فعل روسية قد تجر ورائها نزاعاً اوراسياً قاسياً، فإقامة امبراطورية اوراسية غير روسية تستلزم تقديم خسائر كبيرة جداً لروسيا ولشعبها، وبالتالي من الممكن ان يؤدي ذلك النزاع الى فتح جبهة اخرى بين دول متجاورة ذات توجه معادٍ للأطلسية ليكون ذلك في مصلحة تعزيز مكانة وقوة الولايات المتحدة الامريكية والاطلسية، وخير مثال لذلك الاحداث المرعبة التي جرت في البلقان في تسعينيات القرن الماضي والتي يمكن ان تحدث في روسيا لتصل الى مديات لا يمكن قياسها ولا يحمد عقباها[٩] .

ان حلم روسيا في اخذ موطئ قدم والانفتاح نحو المياه الدافئة لا يزال قائماً وربما اليوم هو هدف استراتيجي اكثر الحاحاً من ذي قبل، فمع وجود منفذ على البحار الباردة في الشمال والشرق؛ فقد تصبح روسيا مكتملة جيوبوليتيكياً[*] .

وفقاً لما تقدم، فاذا رغبت روسيا بتحقيق حلمها الامبراطوري، فعليها الالتزام في تطبيق معايير اخرى تبتعد عن الصورة النمطية للسيد من خلال توظيف قوتها الناعمة واضفاء صورة الحليف الحامي، والصديق الوفي من خلال السلام العقلاني الضامن للمصالح الاستراتيجية لجميع الدول القارية؛ لان مشروع التكامل الاستراتيجي الأوراسي سيمّكن جميع تلك الدول في ان تكون حرة ومستقلة امام الاطلسية البديلة[١٠] .

خريطة روسيا الاتحادية، على الرابط:

https://www.rhalaa.com/2016/08/russia-map.html

ثانياً: القيادة البوتينية الجديدة (القيادة المركبة)

لعلنا لا نجانب الحقيقة اذا ما اعتبرنا "بوتين" هو رمز روسيا المعاصرة، والذي اعاد رسم وصياغة المعادلة الروسية الصعبة وفرضها في التفاعلات الدولية بشكل مؤثر وفعّال مستثمراً المزاج الشعبي الطامح لإعادة امجاد روسيا، والتخلص من عقدة الإذلال والمهانة التي صاحبت فترة ما بعد الحرب الباردة وابان حكم الرئيس الاسبق "بوريس يلتسين". جاء الرئيس "بوتين" في وقت وزمان مناسبين تماماً، اذ استلم السلطة بعد تنحي سلفه "يلتسين" في ١٣ كانون الاول ١٩٩٩، وعلى اثره تغير انموذج القيادة في روسيا وكأن فصلاً جديداً قد بدأ، طوى فيه صفحات الماضي المليء بالأفكار المتعبة والآيدولوجيات العقيمة والخوف من التقلبات المستمرة والشعور بعدم الاستقرار والفوضى وعدم الشعور بالأمان، وظهر فصل جديد تجسد فيه الاشتياق الى الاستقرار والهدوء؛ فهو لم يكن ليصل الى القمة لو كانت روسيا تريد الاستمرار في ثورتها.

ارتكز حكم "بوتين" على توليفة من الليبرالية الاقتصادية الممزوجة بالسلطوية البراغماتية العقلانية المتناغمة بشكل كبير مع الغرب، على العكس من سلفه الذي جمع بين الدورين الديمقراطي والقيصري والذي فشل في اعادة بناء الدولة من جديد وتحقيق الوحدة الوطنية، اذ كان "يلتسين" بطبيعته مصارعاً قادراً على القضاء على اعدائه؛ لكنه لم يستطع ان يكون قائداً للتغيير وهذا هو اهم اسباب تنحيه عن السلطة وتسليمها لخلفه "بوتين"[١١] .

بدأت شخصية "بوتين" تروق لكل طبقات المجتمع تقريباً على الرغم من ضعف خبرته وعلاقاته السياسية وقلة مؤيديه وضعف شعبيته، وخوفه من تحمل المسؤولية بسبب الحالة المزرية التي عاشتها البلاد من فساد مؤسسي وتدهور اقتصادي وانكماش في القوة أبان حكم سلفه، لما يملكه من حيوية وصرامة وتصميم ووضوح ومنهجيه، مع شيء من الغموض، فضلاً عن ذكائه وقدرته على التفكير بروية والتحدث بمنطق سهل، والتواصل مع الجماهير، وسرعة التعلم وحبه للمعرفة، والقوة والرغبة بالسيطرة المحكمة على المجتمع، ليحقق نسبة رضا وقبول شعبي حقيقي وصل الى ٧٠% واستمر لسنوات عديدة، مما اهله لفهم جوهر عمل السلطة، فقد نجح بترويض طبقة النخبة والمتنفذين المتعجرفين وتمكن من الحصول على مساندتهم ودعمهم بشكل كامل آملين منه الحفاظ على الوضع الراهن، وقسم منهم كان يرغب إعادة المجتمع على ايام الاتحاد السوفيتي، او يقدم نظاماً دكتاتورياً، كما وآمل الليبراليين متابعة الاصلاحات الاقتصادية؛ لكن غالبية الطبقة السياسية والشعب ارادوا من "بوتين" ان يثبت نفسه كزعيم قادر على تحقيق النظام ووضع حد لتقلب الكرملين، فبنى سياسته الخارجية بشكل اساسي لاسترجاع مكانة وهيبة روسيا في النسق الدولي[١٢].

ادركت القيادة الروسية بشكلٍ جلي؛ بان المصالح المباشرة لروسيا تكمن في جيرانها (اوراسيا)*، وان عملية بناء سياستها الخارجية يعتمد بشكل اساسي على المصالح الاقتصادية المتبادلة والتي تحقق طموحها لاستعادة مكانتها او موازنة الهيمنة الامريكية، وفي فبراير ٢٠٠٧ وجه الرئيس "بوتين" تحذيراً صريحاً الى المسؤولين الامريكيين في الخطاب الذي القاه في ميونخ

بغية اعادة رسم الخريطة الجيوبوليتيكية في المنطقة والحد من نفوذ روسيا في منطقة القوقاز بتحالف امريكي، فرد "بوتين" على ذلك قائلاً "لايقبل الروس ان يفعل الامريكيون على حدودهم ما رفضت واشنطن على الدوام ان يحدث على حدودها"، فمشروع الدرع الصاروخي والضغوط الامريكية خلال قمة بوخارست في ابريل ٢٠٠٨ من اجل تسريع انضمام جورجيا الى حلف الناتو تعتبر اعمالاً استفزازية، وعليه فان التواجد الروسي في شمال القوقاز يبقى من اولويات السياسة العامة لبوتين[١٣] . وفي السياق ذاته عزز الكرملين هذا الطرح عبر الدبلوماسية الروسية الجديدة الساعية الى اقامة علاقات وتوقيع اتفاقيات وشراكات مع دول المنطقة؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر وقعت روسيا اتفاقية واسعة النطاق مع ايران لبيع الاسلحة، فضلاً عن اكمال بناء مفاعل بوشهر النووي، وكان ذلك بمثابة رسالة تحذير الى واشنطن مفادها اذا تجاهلتم روسيا فسنكون اصدقاء لايران ودول مارقة اخرى، فضلاً عن اعادة تفعيل العلاقات مع الصين وفيتنام وكوبا، والدول المستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي[١٤]. وموضح ادناه خريطة العالم فيها تحديد تقريبي لمنطقة اوراسيا مظللة باللون الاحمر.

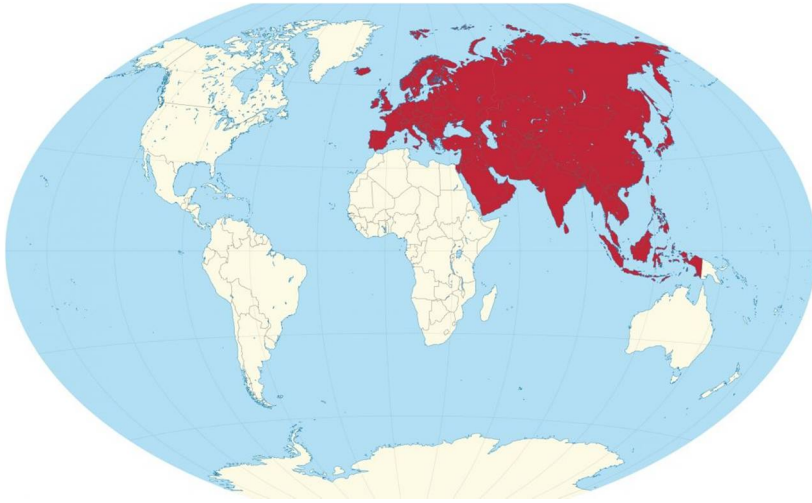

خريطة توضح منطقة اوراسيا، على الرابط:

https://kassioun.org/editor-wrote/item/38244-11785

المحور الثاني: ركائز الدور الروسي في منطقة الشرق الاوسط خلال الالفية الجديدة

يعد الشرق الأوسط منطقة جغرافية حرجة ومهمة بالنسبة لمصالح روسيا العليا، ومؤثرة على أمنها القومي وعلى اقتصادها في الوقت ذاته، اذ تنظر موسكو إلى هذه المنطقة باعتبارها بقعة أرضية متسقة مع المساحة الأوراسية المترامية والتي تتطلع باستمرار إلى التواصل معها والولوج اليها، فالسياسة الروسية تجاه الشرق الأوسط محكومة باعتبارات ذات طابع حساس ومحير؛ فلا تستطيع تجاهل هذه المنطقة التي تقع إلى الجنوب من تخومها الرخوة في القوقاز، ولا هي قادرة كذلك على التقليل من تأثيرات ونفوذ القوى الدولية الأخرى، لذلك حددنا عدد من اولويات ومتغيرات هذه الركائز ليتسنى لنا التحليل بشكل منطقي وسلس.

اولاً: اولويات السياسة الروسية في المنطقة

حدَّد الرئيس "بوتين" أولويات عمله كرئيس للدولة على عدة مرتكزات اساسية تشّكل الضمانة الحقيقية للمصالح القومية للبلاد سواء كانت على المستوى المحلي ام الخارجي والتي يمكن حصرها وفق ما نراه مناسب وكما يلي:

١- تعزيز قدرات الردع الاستراتيجي* المتمثلة بالاسلحة النووية، والصواريخ الباليستية، والمقاتلات، وحاملات الطائرات، والمدمرات، والغواصات، التي تعد الضمانة الاساسية للامن القومي الروسي، اذ اصبحت إعادة تسليح روسيا ضرورة ملحة لمواجهة سياسة الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في التمدد نحو الشرق ونشر الدرع الصاروخي، وذلك من خلال أضخم برنامج للتسليح في روسيا منذ استقلالها عام ١٩٩١[١٥]، وتأكيداً لهذا الطرح أعلن نائب وزير الدفاع الروسي، "أليكسي كريفوروتشكو"، أن وزارة الدفاع الروسية أنفقت أكثر من ٢٤ مليار دولار على شراء الأسلحة والأنشطة بموجب حجوزات الدولة لأغراض الدفاع لعام ٢٠١٩[١٦].

٢- القلق والتخوّف على الامن القومي الروسي من انتشار التطرف والإرهاب الاسلامي إلى روسيا والدول المجاورة؛ فهناك اكثر من ٣ الاف مقاتل ذوي التابعية الروسية توجهوا إلى سوريا أو العراق منذ عام ٢٠١٤ ليقاتلوا الى جانب تنظيم الدولة الاسلامية (داعش)، اذ يخشى قادة الكرملين من هؤلاء المقاتلين العائدين بعد اندحار التنظيم من ان يشكلوا خلايا نائمة قد تشكل خطر مستمر في أي وقت، ومن شأن هذا التهديد ان يزداد مع الزمن نتيجة الصراعات الحديثة في المنطقة[١٧]. ومن جانب آخر لم تتبن موسكو التعريفات الغربية للإرهاب؛ فهي لم تكن محايدة في كثير من المواقف والقضايا المتعلقة بالأمن والإرهاب التي تهدد مصالحها القومية داخل روسيا، لكنها بالوقت نفسه تبدي عدم انزعاجها أحياناً من بعض أعمال المقاومة أو الإرهاب التي تضغط على الأمريكيين[١٨].

٣- رفض الانفراد الامريكي والعمل على إنهاكه إستراتيجياً عن طريق مزاحمته في المنطقة، وذلك من خلال استدراج واشنطن في ازمات على أكثر من ساحة، وهذا نابع من إدراك القيادة الروسية على ضرورة تغيير معادلة ميزان القوى لصالحها ورفض بقاؤها كقوة من الدرجة الثانية، بالرغم من ادراكها صعوبة معادلة القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية على المدى المنظور، الا ان موسكو سعت إلى استغلال حالات الفشل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط، ولاسيما افغانستان والعراق، في زيادة مكاسبها ونفوذها في المنطقة، وتخفيفاً من قوة التواجد الأمريكي الاقتصادي والتجاري الكبير في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى. ولذلك بات واضحاً في المدرك الاستراتيجي الروسي؛ بأن أي اخفاق او فشل في السياسة الأمريكية في المنطقة او في أي مكان اخر بالعالم سيدق جرس الانذار بوجه الهيمنة الأمريكية، وسيترك فجوة في هيكلية النظام العالمي الجديد، مما يفسح الطريق بقوة امام القوى الصاعدة الاخرى لاسيما روسيا، لأخذ مكانتها في تراتبية النظام العالمي، وممارسة دورها في الساحة الاقليمية والشرق أوسطية[١٩].

٤- تعزيز المصالح الاقتصادية الروسية في منطقة الشرق الأوسط من خلال التوفيق بين أهدافها الاقتصادية ومصلحتها الاستراتيجية، وذلك عبر وضع استراتيجية لإحياء الاقتصاد الروسي، ومحاولة التغلب على الصعوبات الاقتصادية العديدة، المتمثلة بمشكلات وعراقيل الاستثمار، ونقص الأرصدة وقلة الاحتياطيات الأجنبية بالبنوك، ومن الجدير بالذكر إلى أن روسيا بوتين قد اعتمدت على العامل البراغماتي العقلاني كاساس في التعاملات مع دول المنطقة بدلاً من العامل الأيديولوجي الذي كان يتغلب في معظم الأحيان على المنطق الاقتصادي، والسعي إلى علاقات متميزة وتعاون استراتيجي مع الاصدقاء السابقين (الهند، ايران، والصين)، ومجموعة دول الكومنولث المستقلة[٢٠]، واتساقاً مع الاستراتيجية الروسية في كسر سياسة العزلة والعقوبات التي فرضتها الادارة الامريكية عليها بسبب أزمة اوكرانيا، أقدمت موسكو على اتباع سياسة الجذب الاقتصادي والتكنولوجي لدول اخرى، مثل (مصر، وبعض دول الخليج العربية) والتي

توجت بنجاحات كبيرة خلال مدة بسيطة[٢١]. وهذا يتوافق تماماً مع الاستراتيجية الروسية للامن القومي الروسي لعام ٢٠٢٠ التي صدرت عام ٢٠٠٩، والتي تدعو الى ان تكون روسيا احدى القوى الخمس الكبرى في الاقتصاد العالمي، كما واكدت على ضرورة رفع المستوى المعيشي للروس والاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية، والتركيز على الجانب الروحي في الارث المسيحي الآرثوذوكسي، علاوة على العمل في موضوع الاندماج العولمي ولكن بشروط روسية محددة تجاه هندسة شكل العالم والاقليم[٢٢].

ثانياً: متغيرات السياسة الروسية في المنطقة

١- الحد من انتشار اسلحة الدمار الشامل، اذ تتطلع موسكو الى لعب دور اساسي في معالجة ملفات واشكاليات التسلح غير التقليدي في المنطقة، من خلال سياستها المعلنة ضد كل اشكال التسلح فوق التقليدي؛ فدعت معاهدة الامن الاوربي الى ضرورة تضمين مادة تمنع تطوير اسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن تاييدها للمبادرة المصرية بجعل منطقة الشرق الاوسط منطقة خالية من اسلحة الدمار الشامل، الا ان هذه السياسة لم تمنع رغبة روسيا في الإبقاء على هذه المنطقة كسوق رائجة لتصريف السلاح التقليدي، الذي يعد من اهم الاسواق الجاذبة والتي يعتمد عليها الاقتصاد الروسي في صادراته الصناعية والحربية على حد سواء، فتمكنت من توقيع مجموعة من الاتفاقيات في مجال تصدير الاسلحة المختلفة الى دول كانت في السابق على خلاف وقطيعة مع الاتحاد السوفيتي مثل (المملكة السعودية، البحرين، والإمارات العربية المتحدة)، تمكنت على اساسها الولوج بقوة الى السوق العربية وبيع اسلحة الى العديد من الدول الخليجية[٢٣].

٢- تعزيز الدور الدبلوماسي الروسي لاسيما على صعيد المنظمات العالمية، كمحاولة لاخذ مكانة مميزة وحاسمة في المجتمع الدولي، وتقوية سياسة البلد الخارجية، تؤهلها لحسم كثير من القضايا التي قد تصب في المصلحة العليا للبلاد ومواجهة القوى العالمية الاخرى، وذلك من خلال اندماجها في مجموعة الدول الصناعية الثمان الكبرى (G8)، ومنتدى آسيا-باسيفيك

للتعاون الاقتصادي(APF)، ورابطة الامم لجنوب شرق آسيا (ASEAN)، وتقوية منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE)، كما اكتسبت وضعية مراقب في منظمة التعاون الاسلامي (OIC)، وانخراطها في مفاوضات السلام ودخولها في مجموعة (5+1) المرتبطة بالملف النووي الايراني، وحضور مؤتمرات القمة الروسية مع الاتحاد الاوربي، وغيرها، وفي ذات الوقت السعي نحو منع توسع حلف شمال الأطلسي (NATO) نحو الشرق، والحد من قدرته على التغلغل في شؤون منطقة النفوذ الروسي، وابتداءً من عام ٢٠٠٥ زادت موسكو من انخراطها بالمنطقة، اذ قام الرئيس بوتين بزيارات الى مصر، اسرائيل، قطر، المملكة السعودية، الاردن، تركيا، ايران، والامارات العربية المتحدة [٢٤].

٣- تعزيز مقومات القوة الناعمة عوضاً عن تمويل المشروعات السياسية بشكل مباشر، عبر اعطاء البعد الإعلامي الاهتمام الذي يستحقه، وابراز وجهات نظر الكرملين في القضايا المهمة التي تقع على اولويات جدول سياستها الخارجية، ومحاولة صنع رأي عام دولي مناهض للسلوك السياسي والاقتصادي الأمريكي والغربي بشكل عام، ولصالح وجهات النظر الروسية، وعليه قامت موسكو بافتتاح المحطة الفضائية الروسية (RT) الناطقة بالعربية، فضلاً عن الاشارات والدلالات التي يقوم بها قادة الكرملين بين فترة واخرى حول الاهمية الخاصة للتعامل مع العالم العربي ككيان اقليمي له هويته الخاصة، وليس التعامل مع كل دولة على حدة، وبالتالي تقف موسكو بالضد تماماً مع المشاريع الغربية لاذابة هذا الكيان في كيان شرق اوسطي اكبر غير متجانس وغير واضح الهوية[٢٥].

٤- دعم مبدأ سيادة الدول وقواعد القانون الدولي، ومساندة الحكومات القائمة للدول ضد كلاً من التدخل الخارجي والتمرد الداخلي، واذا كان التغيير لابد ان يحدث فمن خلال الوسائل الدستورية وأجهزة الدولة، لاعن طريق الثورات الشعبية، اذ تحمّل روسيا الغرب مسؤولية الفوضى الحالية على امتداد الشرق الأوسط، والنتائج الكارثية بسبب التدخلات الغربية في العراق وليبيا كنموذج[٢٦].

٥- الدور الامريكي بالمنطقة والذي يعتمد بالدرجة الاساس على طبيعة العلاقات بين موسكو وواشنطن، والتي تتسم بسياسة التقارب والتباعد على مدى فترة زمنية طويلة، لاسيما في نطاق الاهداف الثابتة والمتحركة، اذ ظل هدف روسيا في الوصول الى المياه الدافئة حلماً سعت الى تحقيقه الادارات المتعاقبة على حكم الكرملين؛ فكان التدخل الروسي في منطقة الشرق الاوسط مرهون بالاصطدام بالمصالح الامريكية والتي غالباً ان لم تكن غير متفقة؛ فهي متناقضة بين الدولتين وبالنتيجة ستصل الى حالة الصراع بدلاً من التوافق، وقد يعزى تراجع اهتمام الادارة الامريكية بمنطقة الشرق الاوسط لعدة اسباب جوهرية تكمن في[٢٧]:-

- اعتقاد الادارة بضعف احتمال نشوب حرب باردة جديدة بينها وبين منافسيها (روسيا والصين) ويكون الصراع فيها على الشرق الاوسط.
- اعتقاد الادارة بانتهاء الحرب على الارهاب من خلال الاعتماد على الطائرات المسيرة ذاتياً لضرب الجماعات الارهابية.
- لم تعد هناك حاجة ملحة لنفط المنطقة، لاسيما بعد اكتشاف النفط والغاز الصخري داخل الاراضي الامريكية، والذي ممكن ان يغنيها عن نفط الشرق الاوسط ولو في المستقبل.
- التفوق النوعي الاسرائيلي على محيطه الاقليمي العربي.
- الضغط الشعبي الداخلي المناهض لسياسة الادارة في التدخل واستخدام القوة في دول المنطقة.

بالرغم من تراجع الدور الامريكي في منطقة الشرق الاوسط، فضلاً عن بعض السياسات غير الموفقة التي اقرتها الادارة الامريكية هناك، الا ان ذلك لا يعني بان الطريق بات معبداً لروسيا لممارسة دور اكثر نفوذاً في المنطقة، فلا زال حلفاؤها وقواعدها هناك اكثر واكبر بالرغم من حالة الفوضى التي تعيشها اغلب دول المنطقة.

المحور الثالث: افاق الدور الروسي في منطقة الشرق الاوسط

بلا ادنى شك يعد التخلي عن العامل الأيديولوجي رافعة مهمة لأية استراتيجية قادمة ترسمها موسكو للمنطقة او العالم، وان الإدراك الروسي لتناقضات وتعقيدات المنطقة وديناميكياتها التي يصعب التنبؤ بها، فضلاً عن مواردها المحدودة، كل ذلك يدفعها الى الاستمرار بانتهاج استراتيجية "التحجيم والتضخيم" والتي اتبعها الاتحاد السوفيتي فيما مضى، لمحاولة تحقيق اقصى حد من المصالح، في مقابل الحد الادنى من الالتزام او الخسارة، مع الاستثناء من ذلك حالة سوريا والذي قد يعد بداية لانغماس روسي مباشر ومتزايد في المنطقة[٢٨].

اولاً: المقومات

قد لا تملك روسيا استراتيجية إقليمية واضحة او محددة، إلا إن تدابيرها تشير إلى تطبيقها لاستراتيجية معمَّمة وظيفية، تسعى باستمرار الى تحسين امتيازاتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية القصيرة المدى، وبالتالي تقلل من الفوائد القصيرة المدى للخصوم المحتملين، وهذا يتناسب طردياً مع الموارد والفرص المتاحة، وهذه المقاربة تتسق مع تشكيل ركائز استراتيجيات بعيدة المدى لأي قوة كبرى اخرى في المنطقة. فعلى مدار السنوات العشر الماضية، كانت هناك ثلاث دول تتنافس مع الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها على النفوذ الاقليمي والدولي (روسيا والصين وإيران)، وقد انتهجت هذه الدول استراتيجيات سمحت لها بتوسيع رقعة سيطرتها الجغرافية، وإضعاف حلفاء واشنطن، وتقويض نفوذها بشكل فاعل في كل من شرق آسيا وأوروبا والشرق الاوسط، اذ مارست هذه الدول استراتيجية "التدابير ما دون الحربية" بغية أن تعزز بقوة مصالحها في مقابل تقليص نفوذ وهيبة الولايات المتحدة الامريكية؛ فقد نجحت روسيا في ضم شبه جزيرة القرم إلى أراضيها، وقامت الصين بتوسيع مجالها الجوي الوطني إلى ما وراء الحدود المعترف بها دولياً، وانتقلت لضم سلاسل جزر مختلفة في بحر الصين الشرقي، أما إيران فقد نجحت في تقويض النفوذ العسكري للولايات المتحدة الامريكية وحلفائها في العراق[٢٩]. ولعل المناورات الحربية الاخيرة في خليج عُمان بين هذه

الدول تعطي اشارات ودلالات واضحة للقوى الغربية على عزم هذه الدول لتقويض نفوذ منافسيها ومحاولة تثبيت موطئ قدم لها بالمنطقة[٣٠].

١- الازمة السورية

شكلت الازمة السورية نقطة تحول جوهرية في السياسة الخارجية الروسية؛ فهي لم تعد ذلك المتفرج السلبي على احداث العالم، وربما ارادت تعويض ما فاتها من مواقف مفصلية في احداث عالمية حرجة، كحرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣، وحالة الخداع في الازمة الليبية عام ٢٠١١، اذ تمثل هذه الازمات منطقة فراغ استراتيجي يمر به النسق العالمي.

توهم كثير من الاستراتيجيين بحالة الانغماس الروسي في سوريا على انه لتحويل الاهتمام او صرف النظر الاوربي والدولي عن ازمة اوكرانيا، وفي الوقت نفسه يتوهم من يظن بان الازمتين السورية والاوكرانية هي لاجل تخفيف ضغط البيئة الداخلية ومحاولة امتصاص مشكلاتها؛ فاغلب الدول مهما كانت قوتها ومكانتها لديها مشكلات وازمات داخلية ربما اكبر مما موجود في روسيا، ولو ننتقل الى ازمتي سوريا واوكرانيا المتزامنتين زمانياً والقريبتين جغرافياً؛ نجد احداهما مكملة للاخرى، وكلاهما تشكلان نقطة تحول استراتيجية مهمة لدى موسكو، فالاولى تعد المجال الحيوي الجيوستراتيجي، والثانية تعد منطقة نفوذ جيوبوليتيكية، وعندما يتكامل ويتفاعل هذان المجالان سيكون ذلك عامل قوة ونقطة انطلاق نحو تحقيق طموحها لاسيما عندما يتناغم ذلك مع تطور بقية المتغيرات الاخرى (الاقتصادية، السياسية، الامنية، والدبلوماسية).

لعلنا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا بان "بوتين" لم يبذل جهداً واقعياً ملموساً في مقاتلة "داعش"، بل قام بعمل ضجة صاخبة خلط فيها جميع الاوراق، تركز جهده على قتال بقية فصائل المقاومة المعارضة للنظام السوري، ويبدو ان ثمن تعاون روسيا مع الادارة الامريكية يمكن حصره في تأمين حضور دائمي عسكري لروسيا بهذه المنطقة عبر دعم "بشار الاسد"،

وهنا يجب الوقوف قليلاً لمعرفة ماذا ستجني الولايات المتحدة الامريكية من هذا التعاون؛ لان المصلحة الروسية ليست شرط في صالح سوريا، ولا في صالح استقرار المنطقة، حتى لو[٣١] :-

أ- كان الرئيسان "بوتين" و "ترامب" يتشاركان في هذا الهدف (وهذا امر مستبعد).

ب- عدم ممانعة الادارة الامريكية بان يصبحوا متورطين في الفظائع التي تقترفها القوات الروسية (عليهم فعل ذلك).

فهناك نقطة جوهرية ترتبط بطبيعة الانظمة الحاكمة لهذين البلدين، اذ ليس من السهولة ان تقاتل قوات البلدين جنباً الى جنب، لصعوبة تعشيق وعمل الانظمة في اطار واحد ينسجم مع المصالح العليا لهما؛ لان ذلك يستدعي المشاركة بالأسرار العسكرية والتي صرف البنتاغون مبالغ طائلة لحماية هذه السرية والبقاء على حالة التفوق قدر المستطاع، الى جانب ان الطيران الروسي لم يضف الكثير الى قوات التحالف الجوية التي تهاجم مقرات داعش، علاوة على انه من غير المرجح ان يقوم الرئيس "بوتين" بنشر قواته البرية داخل سوريا، فوق ذلك لا تسعى روسيا للدخول في مواجهة مع ايران، اذ تعد ايران سوق واعدة للصادرات الروسية، فضلاً عن كونهما جارتان تعملان معاً لإدارة الشرق الاوسط دون ان يكلفهم ذلك الدخول في اي حرب.

مرت السياسة الخارجية الامريكية بنقطة تحول استراتيجية، من سياسة النأي وعدم الانغماس في أزمات الشرق الاوسط ولاسيما الازمة السورية خلال حقبة حكم الرئيس "اوباما"، الى سياسة اكثر جرأة وبراغماتية عندما تسلم الرئيس "ترامب" كرسي الرئاسة الامريكية، اذ قام هذا الرئيس بطرح فكرة إقامة مناطق آمنة مترعة السلاح في سورية شبيهه لتلك التي اقيمت في شمال وجنوب العراق ابان حرب الخليج الثانية، من شانها ان تشكل حلاً لقضية اللاجئين السوريين، وطلب من وزارتي الدفاع والخارجية وضع خطة لإنشاء هذه المناطق في غضون ٩٠ يوماً، ادت هذه الفكرة الى استياء الروس من هذا القرار كونه يسهم في تقويض او تشتيت جهودهم بالانفراد بوضع اسس الحل السوري، وبدى ذلك واضحاً في اتفاق "استانا

٦" بمساعدة تركيا التي ضغطت بشكل كبير على المعارضة لحضور المحادثات، اذ قامت روسيا بمحاولة قطع الطريق على الامريكان لاقامة مثل هكذا مناطق، او اخذ الحل بعيداً عن رؤيتها له بعد ان اعتادت ان يكون ذلك حقاً حصرياً لها، مما شجعها على طرح مبادرة اقامة مناطق خفض التصعيد كبديل عن فكرة المناطق الآمنة، لمحاولة تحقيق عدة اهداف من هذا الاتفاق وهي[٣٢] :-

أ- اعطاء انطباع بوجود تحركات سياسية جارية تقودها موسكو، بهدف اجهاض اية محاولة لفك قبضتها عن الملف السوري سياسياً وميدانياً من جهة، ومن جهة اخرى يستمر تحالف (سوريا- ايران- روسيا) في محاولة ضرب المعارضة على الارض بحجة الاستمرار بمواجهة تنظيمي داعش والنصرة في مناطق خفض التصعيد التي طالما اتخذتها روسيا وحلفاؤها ذريعة لاستمرار استهداف وضرب المناطق التي تسيطر عليها المعارضة حتى يتم اخراجها منها.

ب- قطع الطريق على اي تغيير في السياسة الامريكية نحو الازمة السورية بعد ان ابدت واشنطن استعدادها لاستخدام القوة ضد النظام السوري، لاسيما بعد استهداف النظام منطقة "خان شيخون" بالسلاح الكيمياوي، بدليل ان موسكو سعت الى الزام واشنطن بالاتفاق، فقد دعا المبعوث الروسي الخاص الى سوريا "الكسندر لافرنتيف" الولايات المتحدة الامريكية الى دعم الاتفاق والالتزام بعدم التحليق فوق مناطق خفض التصعيد، وقد اكتمل المسعى الروسي بالتوجه الى مجلس الامن لاستصدار قرار يدعم الاتفاق بهذا المعنى، وذلك لدعم شرعيته دولياً وتكريس مسار استانا بين روسيا وتركيا وسوريا، وبالتالي ركزت موسكو كثيراً على الموقف الامريكي والذي لم يكتنف معالمه بعض الغموض، بالرغم من اعراب الخارجية الامريكية عن قلقها من الدور الايراني في الاتفاق، صرح البنتاغون انه يدرس بعناية المقترح الروسي لانشاء مناطق خفض التصعيد على ان لا يحجم هذا الاتفاق حرية حركة سلاح الجو الامريكي فوق سوريا[٣٣] .

من خلال ما تم عرضه نرى بان روسيا تأمل من هذا الاتفاق والاتفاقات التي تلته، الاستمرار في قيادة الجهود السياسية في سوريا؛ فهي معنية بشكل كبير باحترامه هذه المرة تجنباً لاي تدهور قد يؤدي الى تدخل امريكي مباشر جديد، ومع ذلك لا يبدو ان فرص نجاح هذه الاتفاقات قائمة الى حد بعيد، بسبب بقاء نفس عوامل الفشل السابقة المتمثلة باصرار قوات النظام وحلفاؤه في تحقيق النصر، علاوة على امكانية زيادة الانقسامات والصراعات بين اطراف المعارضة، الا انه بالنهاية يبقى الموقف الامريكي هو الاكثر اهمية برغم الغموض الذي يشوبه في تقرير مصير الاتفاق وتحديد مساراته، لاسيما في ظل ادارة الرئيس "ترامب" ورغبته المعلنة في احتواء التمدد الايراني في المنطقة انطلاقاً من سوريا[٣٤] .

ترى واشنطن ان دوافع موسكو من الازمة السورية ثابتة ولم تتغير، وان الدبلوماسية الروسية الصفرية استثمرت بشكل واضح التناقض والتردد الغربي بشأن سوريا منذ اندلاع الازمة في عام ٢٠١١، وادى ذلك الى حالة من الفراغ في العلاقات الدولية، شجعت الرئيس "بوتين" لتوظيف هذه الحالة لمصلحة روسيا الذاتية من خلال الحفاظ على الرئيس "الاسد" على رأس السلطة كحليف او تابع، فضلاً عن تنصيب روسيا كلاعب اساسي عالمي لا يمكن الاستغناء عنه، مع بقاء الجيش الروسي في سوريا لمدة طويلة الامد[٣٥] .

يعد هذا الملف من اخطر واهم الملفات بما يحوي من تحديات وفرص كفيلة بان يتحدد من خلالها مكانة روسيا في النسق الدولي الجديد فضلا عن نمط علاقاتها الدولية، وان خيارات موسكو في منطقة الشرق الاوسط محدودة وربما تعد سوريا في الوقت الراهن هي الخيار الاقرب للحصول على موطئ قدم هناك وتحقيق حلمها الاستراتيجي القديم الجديد؛ فمسألة الوصول للمياه الدافئة في حقيقة الامر هو وسيلة وليس غاية، لاجل التمركز في المنطقة وانشاء قواعد عسكرية في شرق المتوسط، وبالتالي فان هذا الوضع سيعزز من عوامل قوتها الشاملة عبر توظيف هذه القوة في زيادة[٣٦] :-

أ- سرعة انتشار قواتها في البحر المتوسط والخليج العربي.

ب- تسهيل عملية المناورة في مختلف صنوف القوات المسلحة المتمركزة هناك.

ج- السيطرة على طريق الحرير الجديد؛ فسوريا تمثل نقطة تقاطع اقتصادي بين تركيا والعراق وايران، ومنفذ الاتصال بين دول الاتحاد الاوربي ودول جنوب غرب آسيا.

وبالتالي فان سوريا بما تملكه من مكانة جيوستراتيجية، تعد خياراً استراتيجياً لروسيا لم ولن تفرّط به بسهولة؛ فاذا فقدتها فستفقد الشرق الاوسط بأجمعه، فحقيقة الحرب في سوريا هي حرب ممرات بالدرجة الاساس[٣٧] .

٢- التواصل الجيوبوليتيكي مع الدول المحورية في المنطقة

توجد مجموعة من العوامل المؤثرة في المدرك الاستراتيجي الروسي تدفعها الى تعزيز التواصل بينها وبين دول الشرق الاوسط، فبالإضافة للأسباب الداخلية المتضمنة عدة ملايين من أبناء روسيا الذين يدينون بالإسلام، والعامل الجيوبوليتيكي، هناك الاعتبارات الدينية والاقتصادية التي دفعت بالاهتمام الروسي نحو جنوب متنوع حضارياً ودينياً وثقافياً، وفيه من العناصر التي تعتبر مصدر جذب للاهتمامات السياسية.

أ- المحور الروسي- الايراني

استمرت العلاقات المتميزة بين موسكو وطهران قرابة اربع عقود؛ الا ان المشهد السياسي بينهما لا يخلو من الشكوك ونوع من عدم الثقة المتبادلة لاسيما في ظل خشية موسكو من تحسن علاقات طهران مع الغرب المتزامن مع السباق المحموم لعدد من الدول (المانيا، فرنسا، بريطانيا، والصين) للحصول على نصيبها من العقود وتعويض خسائرهم نتيجة التزامهم بالعقوبات التي فُرضت على ايران لسنوات عدة بسبب ملفهم النووي.

بناء على ذلك ستبقى موسكو حريصة على تطوير علاقتها بطهران لاسيما بمجالي التسليح والطاقة عبر شراكات متميزة دون ان تصل الى مستوى حلف مهما كان شكله؛ تجنباً لانعكاساته السلبية على علاقة روسيا بكل من اسرائيل وبعض دول الخليج والتي بدأت تتطور باضطراد عبر زيارات بعض قيادات دول مجلس التعاون الخليجي لموسكو في منتصف عام

٢٠١٥، بالتزامن مع تراجع الدور الامريكي في دعم هذه الدول، في مقابل عجزه عن ارغام طهران في تغيير سلوكها في المنطقة، كما حاول "بوتين" استغلال سياسة العداء بين ايران والولايات المتحدة الامريكية ليقوم ببيع تكنولوجيا الطاقة النووية لايران[٣٨].

ومن جانب آخر وخلال فترة التعاون الروسي– الامريكي عام ١٩٩٥، تمكنت موسكو وواشنطن من عقد اتفاقية سرية تتمحور في موافقة الاولى على تخفيض التعاون العسكري النووي مع طهران، في مقابل دعم الاخيرة برنامج روسيا الفضائي؛ لكن سرعان ما تبدلت العلاقة بين القوتين لتصبح العلاقة بينهما اكثر حدية وذلك في اواخر عام ٢٠٠٠، اذ قام بوتين بالتخلي عن هذه الاتفاقية جزئياً لتعزيز مبدأ الاستقلالية وكسب المال من ايران عبر بيعها عدة مفاعلات نووية للتزود بالطاقة لها[٣٩]. وبين سياستي التباعد والتقارب (المد والجزر) جاء موضوع التعاون الروسي لتسوية الملف النووي الايراني ضمن مجموعة (٥+١) ليشكل واحدة من القضايا التي اذابت جليد التعاون الروسي_الامريكي، فضلاً عن التعاون في مجال الحرب على الارهاب لاسيما في الفترة الممتدة بين (٢٠٠٦_٢٠١٠) والتي تضمنت اربع قرارات فرضها مجلس الامن كعقوبات اقتصادية ومالية على ايران بالرغم من آثارها السلبية على الاقتصاد الروسي، اذ اشاد الرئيس الامريكي السابق "اوباما" بهذا التعاون وموقف روسيا من الملف النووي الايراني الذي كان للروس الدور الرئيس في تطويره واعادة بناءه، اتساقاً مع تعزيز نظام منع الانتشار النووي، علاوة على منع ايران من امتلاك قدرات نووية قد تشكل خطراً على المنطقة بشكل عام وعلى اسرائيل بشكل خاص، اذ تمتاز الاخيرة بعلاقات خاصة مع موسكو[٤٠]. وبهذا الموقف الروسي تلاقت مصلحة القوتين لاسيما في هذا الملف؛ ولكن في المحصلة النهائية لم تحقق روسيا ما كانت ترنو له برفع العقوبات عنها جراء الازمة الاوكرانية، على العكس من الولايات المتحدة الامريكية التي تمكنت من انهاء هذه الازمة دون الحاجة لتدخل عسكري وعدم خوض تجربة حرب العراق ٢٠٠٣ مرة اخرى، علاوة على ان هذه الصفقة النووية وفرت مناخاً من عدم الاستقرار المسيطر عليه والذي قد يؤدي الى نشوب

حروب صغيرة ومحدودة تخدم الادارة الامريكية وتحقق لها مكاسب جيوبوليتيكية كبيرة بالمنطقة، وضمن السياق نفسه استطاعت هذه الادارة ابرام صفقات سلاح هائلة مع دول الخليج العربي لأجل طمأنتها وضمان امنها من الخطر الايراني المحتمل من خلال استثمار طبيعة العلاقات العدائية بين ايران والسعودية وايجاد نوع من التوازن القلق يحمي المصالح الامريكية بالمنطقة[٤١].

حاولت روسيا الاستفادة من الموقع الجيوبوليتيكي الإيراني لمواجهة التغلغل التركي، واختراق التمويل الوهابي في أوساط الجمعيات الإسلامية بجمهوريات آسيا الوسطى[٤٢]، كما سعت طهران وموسكو الى منع انضمام بلدان آسيا الوسطى لأحلاف لا تُكِن مشاعر ود تجاههما، وسيطرة حلف شمال الاطلسي على المنطقة؛ فهما يتخوفان من قيام ما يسمى "تركيا الكبرى"[٤٣]، ومع ان كلاهما يدعم الحكومة السورية، الا ان علاقاتهما يشوبها نوع من الشك والريبة المدفوعة بخلافات تاريخية وسياسية، لقد دعمت موسكو العراق في حربه ضد إيران، كما دعمت العقوبات الدولية عليها، مكتسبة بذلك غضب النظام الثوري، واختلفت الطرفان أيضاً بشأن العمليات العسكرية في سوريا، وشمل ذلك استخدام القواعد الايرانية، وعليه فإن هذه العلاقة المعقدة يجب ألا تفسر بأنها تعكس رؤية مشتركة للمنطقة[٤٤]، وان الامتداد الإيراني في الأساس يحد من زخم الطموح الروسي للوصول للمياه الدافئة[٤٥].

ب- المحور الروسي-التركي

اجمالاً تدرك موسكو تماماً اهمية تركيا الجيوبوليتيكية، بالرغم من الانعطافات الحادة في العلاقات بين البلدين قبل واثناء الحرب الباردة وبعدها، اذ يعمل القادة الاستراتيجيين الروس الى محاولة السيطرة على المضايق التركية (البسفور، الدردنيل) خوفاً من اي عملية اغلاق لهذه الممرات المائية الاستراتيجية والتي ستجعل الاسطول الروسي محاصراً، في ظل التفوق الامريكي والغربي في البحر المتوسط، الامر الذي يؤدي الى حالة من عدم التوازن في القوى في تلك المنطقة.

يشترك كلا البلدين بحدود مشتركة طويلة، مع وجود تباين كبير في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والآيديولوجي، ورافق ذلك التباين سلسلة من التنافس والصراع الطويل منذ الحقبة العثمانية – القيصرية وحتى تاريخنا المعاصر، وتخلل تلك المدة الواسعة حالات من الوفاق والاتفاق بين البلدين، اذ يرجع الفضل في ارساء دعائم العلاقات السوفيتية – التركية الى مبادئ لينين – اتاتورك، والتي عدت الاساس الذي بنيت عليه العلاقات والمصالح بينهما بعد ذلك[٤٦].

تحاول روسيا منذ أوائل تسعينيات القرن الماضي الاستفادة من الموقع الجغرافي لتركيا التي باتت ممراً إجبارياً للاولى نحو المياه الدافئة، وطريقاً برياً لصادرات روسيا لدول الشرق الأوسط وأوروبا على حد السواء، لاسيما من الغاز الطبيعي، اذ يمر نحو٥٠% من تجارة روسيا الخارجية عبر المضايق التركية[٤٧].

تشهد العلاقات الروسية– التركية حالياً نوعاً من التقارب والتعاون الحذر المتبادل، نظراً للتراكمات التاريخية ذات الخلفية الصراعية التنافسية التي لا زالت تلقي بظلالها على تلك العلاقات؛ وإن علاقة روسيا المتقلّبة بعض الشيء مع تركيا قد تعرّض للخطر أحد أكبر مستهلكي الطاقة لديها، وإنّ رأب أي خلاف بين البلدين، مثل تطبيع العلاقات بعد إسقاط تركيا للمقاتلة الروسية عام ٢٠١٥، وحادثة اغتيال السفير الروسي في انقرة عام ٢٠١٦، يمكن نسبته بشكل جزئي إلى حاجة موسكو للمحافظة على أكبر سوق إقليمية للطاقة البلدين*، وكونها بوابة عبور للطاقة نحو اوروبا، والعلاقات التركية–الأمريكية المتراجعة، وادراك كل من انقرة وموسكو عدم تعارض مصالحهما والاستفادة من العمل معاً في سوريا.

في المقابل، تسعى أنقرة نحو الاستفادة من علاقاتها مع موسكو لتعزيز مكانتها بين دول آسيا الوسطى والقوقاز، ومع المجموعات الإسلامية فيها، فضلاً عن عدم اخفاء طموحها نحو إقامة تحالف بين الشعوب ذات الاصول الطورانية "الأمة التركية" تحت قيادتها، ومواجهة تطور النفوذ الإيراني الشيعي[٤٨].

ج- المحور الروسي- الخليجي

إنّ الترويج لمصالح روسيا الاقتصادية في الشرق الأوسط وحمايتها هو أحد أكثر أغراض سياسات موسكو في المنطقة اتساقاً، مع ذلك، إنّ النطاق والسياق مهمان، فدول المنطقة تعلل نسبة مئوية صغيرة من مجموع الصادرات الروسية، وليس سوقاً مهمة بالنسبة للاقتصاد الروسي كالسوق الاوربية والآسيوية، مع ذلك؛ فإنّ أنشطة موسكو الاقتصادية الإقليمية يُقصد منها تحقيق ما يتجاوز الكسب المالي، وإنّ الفرصة الاقتصادية تزود روسيا بحضور ونفوذ إقليمي، وإنّ التفاعل الاقتصادي بين روسيا والبلدان الشرق أوسطية في تنام، وروسيا هي القوة الدافعة، اذ تملك دول الخليج الاقتدار المالي الذي يؤهلها للقيام بالاستثمارات العالية الكلفة التي يحتاجها اقتصاد روسيا المحليّ بشدة، لقد دخل صندوق الثروة السيادي لروسيا، والصندوق الروسي للاستثمار المباشر **Russian Direct Investment Fund RDFI** في صفقات استثمار مشترك مع صناديق الثروة السيادية للبحرين، والكويت، وقَطر، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة من أجل القيام باكتتابات في أسهم رأس المال في الاقتصاد الروسي، اذ امتدت هذه الاستثمارات عبر مشاريع تجارية متنوعة، والزراعة، والبنى التحتية، ومن الجدير بالملاحظة أنّ ثلاثاً من هذه الصفقات أُعلِنَ عنها بعد إقرار العقوبات الغربية على روسيا عام ٢٠١٤ ، مع أنّ صناديق الثروة السيادية هذه لم تنتهك العقوبات إذ لم تكن العقوبات الثانوية قد نُفّذت بعد، فزادت الكويت من استثمارها الكائن مسبقاً مع **RDIF** عام ٢٠١٥، كما ان دول الخليج على غرار العديد من الدول في الشرق الأوسط كانت كارهة لأن تُقَيد سياسياً بالعقوبات ضد روسيا، وإنّ الاستثمارات الشرق أوسطية وما عداها من النشاط الاقتصادي الإقليمي هي جزء من جهود روسيا لبناء اقتصاد مقاوم للعقوبات[٤٩].

تملك روسيا مصالح مهمة اقتصادية وأخرى تتعلق بالأعمال في قطاع الطاقة في الشرق الأوسط، يتراوح من الطاقة النووية إلى النفط والغاز، وشركاتها التي تملكها الحكومة مثل

غازبروم**Gazprom** ، وروزاتوم **Rosatom**، تحتفظ بمصالح مهمة في مجال الطاقة ويشمل ذلك أسواق استهلاك رئيسية، وحقول نفط وغاز، وزبائن للبنية التحتية من الطاقة النووية في بلدان مثل إيران والعراق وتركيا وشرق المتوسط، ومن الملفت للنظر زادت شركة **Rosatom** من نشاطاتها في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة، فبنت مفاعلات في إيران ومصر والأردن وتركيا[٥٠]، وافتتحت مكتباً إقليمياً في دبي آملة استغلال خطط الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية لزيادة قدرات الطاقة النووية[٥١]؛ إنّ تقلّب أسواق الطاقة العالمية، مترافقاً مع اعتماد روسيا المتزايد على عائدات النفط نتيجة للتباطؤ الاقتصادي لديها وللعقوبات الاقتصادية الغربية عليها، ألقى بضغط أكبر على موسكو للسعي وراء مكاسب في أسواق الطاقة الشرق أوسطية.

إنّ مقاربة موسكو البرغماتية للخليج، لاسيما للمملكة العربية السعودية، تقوم على رغبة بزيادة أسعار النفط العالمية، تسعى روسيا عبرها لتثبيت ثم زيادة سعر النفط من أجل تغذية نفقات الدولة، لذلك حاولت روسيا تنسيق الجهود من أجل تحديد مستويات الإنتاج واجراءات الأسعار مع منظمة **OPEC**[٥٢].

كما بذلت موسكو جهوداً واسعة لاستعادة دورها كمزود مفضل للأسلحة للدول العربية؛ فقامت باستغلال موقف واشنطن من تأخير ومماطلة صفقات بيع اسلحتها الحديثة الى مصر والمملكة العربية السعودية ولدول خليجية اخرى بحجة وجود مخاوف تتعلق بحقوق الانسان والديمقراطية، علاوة على محاولة الحفاظ على التفوق النوعي العسكري (لاسرائيل)، وان انشغال ممالك الخليج بالحفاظ على انظمتها، أفضى إلى اقتنائها السريع لكميات كبيرة من الأسلحة، مما يجعلها أكبر مستهلكي الأسلحة في العالم وسوقا واعدة لموسكو، يبدو من ذلك أنّ سياسات واشنطن في بيع الأسلحة أقل موثوقية، في مقابل ذلك، تضع موسكو نفسها كمزوّد للاسلحة بلا قيود او شروط، اذ لا تعاني مبيعات السلاح الروسي من نفس الإشراف البيروقراطي والتأخيرات التي تمر بها صفقات السلاح الأمريكية؛ إنّ مقاربة روسيا غير

الأيديولوجية تعني أنه يمكنها المحافظة على علاقات مع دول عديدة قد تكون متقاطعة المصالح وتزويدها بالأسلحة في وقت واحد، مثلاً، أن تبيع أسلحة لكل من إيران والبحرين في الوقت ذاته، وتكون قادرة ايضاً على تسليم الأسلحة بسرعة الى الدول التي تكون بحاجة ماسة اليها، كما ثبت من خلال تزويدها العراق بطائرات هليكوبتر الهجومية[٥٣]، كل ذلك يتم من خلال شركة روزوبورون إكسبوت **Rosoboronexport** المحتكرة لتصدير السلاح الروسي؛ نتيجة لتلك السياسة، كان هناك ارتفاع ملحوظ في مبيعات الأسلحة الروسية للبلدان الشرق أوسطية منذ عام ٢٠١١[٥٤]، إنّ استغلال روسيا للاستياء الإقليمي من سياسة واشنطن لا يزيد فقط في المحصلة النهائية لنفوذها السياسي والاقتصادي، بل في تحجيم تأثير واشنطن في المنطقة.

٣- مديات التعاون الروسي- الامريكي

تشوب سياسة الرئيس الامريكي "ترامب" نوعاً من الضبابية والغموض؛ فهي غير واضحة المعالم ومتذبذبة لاسيما على مستوى السياسة الخارجية، ولكنها لحد الان تبدو متصالحة مع الرئيس "بوتين"، الامر الذي شجع الاخير ان يحاول أخذ بعض التنازلات وتحقيق بعض الامنيات التي تقع في :-

أ- اشياء لا ينبغي ان يحصل عليها حتى يتصرف بشكل افضل فيها والمتمثلة برفع العقوبات الغربية المفروضة على روسيا.

ب- اشياء لا ينبغي ان يحصل عليها تحت اي ظرف كان، مثلاً الاعتراف باستيلائه على الاراضي الاوكرانية.

ج- اشياء من شأنها تقويض النظام العالمي القائم، المتمثلة بإضعاف حلف الناتو عبر إلغاء نظام الدفاع الامريكي المضاد للصواريخ في اوروبا، فضلاً عن ايقاف توسع الحلف بضم دولة الجبل الاسود له، والتي انضمت له فعلاً عام ٢٠١٧[٥٥].

تطمح الادارة الامريكية الجديدة الى تحقيق عدة مكاسب من خلال استثمار علاقاتها بالكرملين وفقاً لما يأتي:

أ- على مستوى الشرق الاوسط: الرغبة الامريكية بالتعاون مع "بوتين" للقضاء على الراديكالية الاسلامية بشكل عام، وعلى تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) بشكل خاص، في الوقت عينه يمكن لروسيا ان تتخلى عن تعاونها مع ايران (العدو التقليدي للولايات المتحدة الامريكية في الخليج والشرق الاوسط، والذي يهدد ايضاً حلفاؤها بالمنطقة لاسيما البحرين والسعودية).

ب- على مستوى اوروبا: يمكن لروسيا ان توقف إثارة الصراع في اوكرانيا، والموافقة على عدم مضايقة اعضاء حلف الناتو القريبين منها.

ج- على مستوى التسلح: احتمال دخول البلدين بمحادثات السيطرة وضبط التسلح النووي، لوضع حد لظاهرة انتشار الاسلحة النووية او اسلحة الدمار الشامل الاخرى.

د- على مستوى آسيا- باسيفيك: يمكن لعلاقات اوسع ان توظف ضمن اطار براغماتي يتيح للبلدين تحقيق مصالح مشتركة، وان يساعد على كبح التوسع الصيني، ليس على المستوى الاقليمي فحسب؛ وانما على مستوى العالم.

لا يسعنا الا ان نقول بان مجال التعاون وعقد الصفقات بين موسكو وواشنطن لا يمكن ان يأخذ مديات واسعة وكبيرة مهما امتلك "ترامب" من قوة تفاوض؛ لأنه من الممكن ان تكون الصفقات الكبيرة مثار شبهة او خيانة قد تؤدي الى زعزعة الاستقرار وانعدام الثقة بين الطرفين، فبدلاً من كسب خيانة الخصم يكون العمل في الاشياء الصغيرة افضل لتحسين العلاقات بين البلدين، وهذا يشمل عمليات السيطرة وضبط التسلح بجانب منع الحوادث العسكرية التي يمكن ان تحصل هنا او هناك، لذلك يقع على عاتق الادارة الامريكية فضلاً عن اعضاء الكونغرس من الجمهوريين والمستشارين العقلانيين ان يسعون جاهدين لإقناع "ترامب" بانتهاج هذه السياسة؛ لان البديل قد يكون سيئاً للغاية، وهذا ما حصل عندما اقر الكونغرس

عقوبات جديدة على روسيا[٥٦]، وغلق القنصلية الروسية في سان فرانسيسكو، وتخلله اجراء عمليات تفتيش لمقرات وبنايات تابعة للدبلوماسيين والسفارة الروسية من قبل الـ FBI[٥٧].

ثانياً: المحددات

وهي العوامل التي تؤثر على اداء السياسة الخارجية لموسكو وتراجع دورها في منطقة الشرق الاوسط، والتي يمكن تحديدها بالاتي:

١- المحددات الداخلية:

أ- تفتقر روسيا إلى القدرة الاقتصادية والعسكرية لإدامة استراتيجية طويلة الأمد بالمنطقة، مقارنة بغريمها الولايات المتحدة الامريكية، فموقع روسيا الاقتصادي لم يزدد إلا سوءاً منذ بداية الربيع العربي، بالرغم من تحقيقها بعض الأهداف المهمة القصيرة الأمد في سوريا بشكل رئيسي، لذا تعوض قصورها عن طريق انتهاز الفرص المتوفرة التي يؤمنها التغيير السياسي، وتحاول الحد من التكاليف والالتزامات[٥٨].

ب- تفتقر روسيا إلى قدرات القوة الناعمة في المنطقة بالمقارنة مع قدرات الغرب، ومن غير الواضح اذا كانت تلك القدرات ستلقى صدى في الشرق الأوسط بنفس الطريقة التي لقيتها جهود مماثلة في أجزاء من أوروبا والولايات المتحدة، وهي تلجأ إلى انتهاج الحوار الاستراتيجي المباشر القصير الأمد بين الحاضر والمستقبل[٥٩].

ج- معارضة الرأي العام الروسي ورفضه تمويل الكثير من المشروعات السياسية خارج أراضي روسيا، وهذا من شأنه يُضعف من إمكانية التأثير السياسي لروسيا في الخارج، ومثال على ذلك عدم قدرتها على تحقيق أي تقدم او تأثير في عملية التسوية السلمية في الشرق الأوسط، علماً انها إحدى الدول الراعية لعملية السلام الفلسطينية- الإسرائيلية، أو حل الازمة الإيرانية وغيرها من مشكلات المنطقة[٦٠].

٢- المحددات الخارجية:

أ- ازمة النسق العالمي: ان النقاش الدائر خلال العقد الاول من الالفية الثالثة حول مستقبل التغيير العالمي **Global Change** في اروقة الدوائر الاكاديمية والسياسية، تركز حول ثلاثة ازمات متزامنة وهي[٦١] :-

- ازمة قيادة النسق العالمي المتزامن مع انحدار القوة الامريكية في مقابل صعود مراكز قوى اخرى.
- ازمة هيكلية بناء النظام الرأسمالي العالمي.
- ازمة منظومة القيم الحاكمة المتمثلة بالديمقراطية الليبرالية التمثيلية في مقابل العدالة الاجتماعية.

ب- عقدة الاحتواء: لطالما كانت روسيا بمرحلتيها القيصرية والسوفيتية تشكل عقبة كبيرة بوجه النموذج الليبرالي الغربي باتجاه العمق الاوراسي، بالرغم من محاولات سياسة الاحتواء التي مارستها الادارات الامريكية المتعاقبة عليها، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي حاولت الولايات المتحدة الامريكية والغرب اتباع نفس المنهج في احتواء خصمها اللدود وعزله عن المشاركة في السياسة العالمية، وفي تقرير لـــ (بول ولفوفتس) نائب وزير الدفاع الامريكي ابان فترة ادارة الرئيس (كلنتون) قدمه الى الكونغرس عام ١٩٩٢ اكد فيه " ان المهمة الاستراتيجية الرئيسة للولايات المتحدة الامريكية، هي الحيلولة دون ان يقوم على اراضي الاتحاد السوفيتي تشكيل استراتيجي قوي وفعّال قادر على تطبيق سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة الامريكية "، وباختصار فان عالم تسيطر عليه الولايات المتحدة؛ فان روسيا تجسد شكلاً من الحلم الديغولي[٦٢].

ج- البراغماتية الحدية: تسعى روسيا لبناء علاقات عملية واسعة والمحافظة عليها، مع كل الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية في الشرق الأوسط تقريباً، اذ حققت بعض النجاح بواسطة هذه المقاربة، فتمكنت من توطيد العلاقات مع دول (كاسرائيل)، بينما تعمّق في نفس

الوقت التعاون العسكري مع إيران، بالتالي انتجت هذه المقاربة مجموعة من التناقضات في السياسات قيّدت السلوك الروسي، إنّ انتهاج هكذا مقاربة غير أيديولوجية برغماتية للشرق الأوسط يحجم من العلاقات التي يمكن لها بناؤها، وبالتالي يحد مما يمكن لها تحقيقه من مصالح في المنطقة[٦٣].

د- البراغماتية العكسية: اتساقاً مع محدودية ما يمكن لموسكو أن تحققه بسبب اعتمادها على النهج البراغماتي الحدي؛ فإن دول الشرق الأوسط بدورها تملك القدرة والوسيلة الأكبر لتحديد فعالية اي استراتيجية روسية بالمنطقة، وإنّ وسيلة بلدان المنطقة كثيراً ما تضيع في ثنايا مناقشات الانخراط الروسي والأمريكي في قضايا الشرق الأوسط، وإنّ هذه الدول على غرار روسيا تستغل أيضاً الطبيعة المعاملاتية لعلاقاتها، مستخدمة روسيا لمنفعتها.

الخاتمة

أنّ الدوافع الرئيسية للسياسات الروسية في منطقة الشرق الاوسط تركزت في المكانة والاقتصاد والاستقرار، وهذا الامر سيؤهلها في مرحلة متقدمة من استعادة دورها في اوراسيا كقوة مهيمنة، اذ قامت باستغلال الأحداث في المنطقة من أجل إعادة بناء صورتها كقوة عظمى، وتشبثت بالاضطرابات التي تعم المنطقة، فسلّطت الضوء على ما تعتقد أنه حالات الفشل في السياسات الغربية وعدم جدارتها بالثقة، من أجل تقديم نفسها للقادة التقليديين الشرق أوسطيين على هيئة البديل الجدير بالثقة، لقد استفادت روسيا إلى الحد الأقصى من الفرص في سوريا على خلفية الارتباك المتصور في السياسات الغربية، وحققت الكثير في فترة قصيرة من الزمن، مع ذلك، فإنها قد لا تكون قادرة على ترجمة هذا النجاح إلى قوة استراتيجية، في وقت لاحق، قد تحتاج موسكو للقيام بخيار سياسي حرج في منطقة ليس لها من الأولوية في السياسات الخارجية ما لآسيا وأوروبا؛ وإنّ مكاسبها الظاهرة يمكن أن تختفي بنفس السرعة التي تحققت بها؛ فهي لا تستطيع تحديد النتائج في المنطقة بشكل عام، وعليه ادرك قادة الكرملين بأن عناصر الاستراتيجية الروسية تكمن في علاقاتها الدبلوماسية المتعددة الأوجه

واتجاهها التدخلي الحديث مع الدول الاقليمية الفاعلة، والذي يتوقع منه عقد صفقات اقتصادية طويلة الامد والحصول على عوائد حقيقية، في مجالي الطاقة والسلاح، مستغلة التسهيلات غير المشروطة ومتجاوزة العقبات البيروقراطية، وبرغم تأكيد روسيا الدائم على معارضتها للنظام الأحادي القطبية، وأهمية وجود نظام دولي متعدد القوى، يتسم بالعدالة واحترام القانون الدولي والشرعية الدولية، وبدور أوسع للمنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة، فإن موسكو ترتبط بمصالح استراتيجية وحقيقية مع واشنطن، ومن ثَمَّ فهي أكثر ميلاً إلى احتواء الخلافات التي تنشب من آن لآخر مع واشنطن، وتسويتها على النحو الذي يضمن لروسيا حماية مصالحها وأمنها القومي، وبالتالي فإن روسيا حريصة على ألا تتجاوز هذه الخلافات حد الصراع، وليست على استعداد للتضحية بشراكتها مع الولايات المتحدة.

الهوامش

[1] اسماعيل صبري مقلد، الصراع الامريكي – السوفيتي حول الشرق الاوسط: الابعاد الاقليمية والدولية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦، ص ص٢٣ و٢٨.

[2] المصدر نفسه، ص٣٠.

[3] ادوارد ميد ايرل وآخرون، رواد الاستراتيجية الحديثة، (ترجمة: محمد عبد الفتاح ابراهيم)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المكتبة العالمية، بغداد، طبعة ٢، ١٩٨٥، ص٣٤.

[4] الكسندر دوغين، اسس الجيوبوليتيكا، (ترجمة وتقديم: عماد حاتم)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٠٨.

[5] المصدر نفسه، ص٢١٠.

[6] ايمانويل تود، بعد الامبراطورية: دراسة في تفسخ النظام الامريكي، (ترجمة وتقديم: رجب بودبوس)، اكاديمية الفكر الجماهيري– المركز العالمي للدراسات وابحاث الكتاب الاخضر، ليبيا، ٢٠١٥،ص ص٢٥٧–٢٥٨.

[7] الكسندر دوغين، مصدر سبق ذكره، ص٢١٣.

[8] زبغنيو برجينسكي، رقعة الشطرنج الكبرى السيطرة الامريكية وما يترتب عليها جيوستراتيجياً، ترجمة ونشر مركز الدراسات العسكرية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩، ص٤٧.

[9] ايمانويل تود، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٢.
ينظر ايضاً: ادوارد ميد اريل واخرون، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٨–٢٩.

*لتحقيق ذلك الحلم تم اراقة دماء كثيرة؛ فالحرب القيصرية – العثمانية على المضايق التركية وعلى شبه جزيرة القرم مثال واضح على ذلك، والتي لم يجني ثمارها اياً من طرفي القتال سوى بريطانيا العظمى، علاوة على المغامرة والاندفاعة الفاشلة نحو افغانستان والتي شكلّت خسارة كبيرة وعبء ثقيل على روسيا في ذلك الوقت.

[١٠]الكسندر دوغين، مصدر سبق ذكره، ص٢١٧.

[١١]ليليا شيفتسوفا، روسيا بوتين، (ترجمة: بسام شيحا)، الدار العربية للعلوم–ناشرون، بيروت، ٢٠٠٦، ص ص٨ و١١.

[١٢]برتران بديع، زمن المذلولين، (ترجمة:جان ماجد جبور)، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، تشرين الثاني ٢٠١٥، ص١٤.

* هي رقعة اليابس القارية المتصلة عبر قارتي أوروبا وآسيا، والتي يحدها من الشرق المحيط الهادي، ومن الغرب المحيط الاطلسي، كما يحدها شمالاً المحيط القطبي الشمالي، وجنوباً البحر المتوسط وقارة أفريقيا والمحيط الهنـــدي. وتفترض المنظورات الجغرافية لاوراسيا أن الفصل بين القارتين الاسيوية والاوروبية لا يستند لاسس جغرافية بسبب فقدان الخطوط الطبوغرافية الفاصلة بين القارتين والتي تمثـــل رقعة يابسة واحدة، وهـــو مـــا يجعلهـــا القارة الاكبر بالعالم، بمساحة تصل الى ٥٥ مليون كم٢ وبما يمثل نحو ٣٦,٢ %من مساحة اليابسة الكلية، وعلى المستوى الديموغرافي، يبلغ عدد سكان إقليم أوراسيا حوالي ٥ مليارات نسمة، أي حوالي ٧١ %من إجمالي سكان العالم، إذ يتمركز في آسيا حوالي ٤,٢ مليار نسمة، ويقيم في أوروبا حوالي ٧٤٠ مليـــــون نسمة، وتضم أوراســـيا ٩٣ دولة طبقـــاً لمعايير مختلفة، فوفقاً لمعيار المساحة، يعد الاتحاد الروسي الوحدة السياسية الاكبر مساحة، إذ تبلغ مساحته ١٧,١ مليون كم٢.وبمعايير الكثافة السكانية، تعد الصين الدولة الاكثر نفوساً بنحو ١,٣٨ مليار نسمة، تليها الهند بحوالي ١,٣٣ مليار نسمة. وتضم اوراسيا أيضاً دول الاتحاد الاوربي، ومنظمة شنغهاي للتعاون، والاتحاد الاوراسي، ومجموعة الآسيان وغيرها من التكتلات الاقتصادية والامنية. ينظر: منى مصطفى، عودة اوراسيا، اوراق اكاديمية، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، عدد ٦، ٧ نيسان ٢٠١٩. على الرابط: https://futureuae.com/media/06_0013af2d-6748-4c7b-8f57-4c4b7a99b4f0.pdf

[١٣]ممدوح عبد المنعم، روسيا تنادي بحق العودة على القمة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٢٧.

[١٤]ليليا شيفتسوفا، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٠.

* كشفت روسيا عن غواصتها الجديدة "كرونشتادت المشروع ٦٧٧"، التي تتميز بقدرات قتالية هائلة، والتي بدأ العمل على صناعتها عام ٢٠٠٥، إلا أن المشروع توقف بسبب نقص في التمويل، ليتم استئناف العمل عليه سنة ٢٠١٣، ويصل طول الغواصة إلى ٦٨ م، وعرضها ٧.١ م، وقد زُودت بأسلحة عالية الدقة مثل ٦ قاذفات طوربيد، و١٨ صاروخ بما فيها صواريخ "كاليبر"، ويبلغ تعداد أفراد طاقمها ٣٥ شخصا، وبمقدورها الإبحار والبقاء تحت سطح الماء بشكل متواصل مدة ٤٥ يوما، والغوص إلى عمق ٣٠٠ متر، علما أن سرعتها تبلغ ٢١ عقدة. ينظر: سكاي نيوز عربية، روسيا تكشف عن سلاحها المدمر "شبح البحار"، في ٢١ سبتمبر ٢٠١٩، تاريخ الاسترداد ٨ ديسمبر ٢٠١٩، الرابط:

https://www.skynewsarabia.com/world/1184145

كما كشفت تقارير غربية أن روسيا صنعت صاروخا نوويا جديدا مرعبا وقويا وفائق السرعة بما يكفي لتدمير مدن بأكملها، ويمكنه التحليق لمسافات شاسعة ومداه غير محدود ولا يمكن إيقافه وقادر للتحليق لأيام بحثا عن نقاط –الضعف في دفاعات الدول الغربية،

ويطلق اسم "بوريفيستنيك" على هذا الصاروخ، وهو عبارة عن صاروخ كروز مجنح، بحسب ما ذكرت صحيفة ميترو البريطانية، ووفقا لعملاء المخابرات الأميركية فإن هذا السلاح الفتاك الفائق سيتم تشغيله في غضون ٦ سنوات، وهو ما من شأنه أن يوفر الوقت الكافي للبدء في بناء "ملجأ يوم القيامة". وعادة ما تحلق هذه الأسلحة لمسافة تصل إلى ١٦١٠ كم؛ لكن بوريفيستنيك يعمل بالطاقة النووية، لذا– يمكنه التحليق لمسافات طويلة قبل إطلاق العنان لرؤوس حربية نووية مدمرة. وقال خبير الأسلحة النووية في معهد ميدلبري للدراسات الدولية، في مونتيري، جيفري لويس لشبكة **CNBC** الإخبارية "إن روسيا ملتزمة باستثمار هائل، في أنظمة جديدة من هذا القبيل، لهزيمة الدفاعات الصاروخية الأميركية"، مضيفا أن العالم يتجه نحو سباق تسلح. ينظر: سكاي نيوز عربية، في ١٤ سبتمبر ٢٠١٩، تاريخ الاسترداد ٨ ديسمبر ٢٠١٩، الرابط:

https://www.skynewsarabia.com/world/1282792

[١٥]أحمد دياب، عودة بوتين: تحديات وطموحات روسيا بعد انتخابات الرئاسة، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام، القاهرة، العدد ١٨٨، المجلد، ٤٧، ابريل ٢٠١٢، ص ١٠٦.

[١٦] الدفاع الروسية تكشف نفقاتها لعام ٢٠١٩، في ٢٠١٩/١٢/٢٨، الرابط:

https://arabic.sputniknews.com/russia/201912281043896472

[17] **Catherine A. Fitzpatrick, How Many Russians Are Fighting for ISIS? A Brief History of the Kremlin's Arbitrary Numbers, *The Interpreter,20 Dec.2016,at:***
http://www.interpretermag.com/how-many-russians-are-fighting-for-isis-a-brief-history-of-the-kremlins-arbitrary-numbers/

[١٨] ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٢١.

[١٩]احمد عبد الله الطحلاوي، استعادة الدور: المحددات الداخلية والدولية للسياسة الروسية، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٦ نوفمبر٢٠١٤، تاريخ الاسترجاع في ٨ ديسمبر ٢٠١٩، الرابط: **http://www.acrseg.org/16360**

[٢٠]عبد العزيز مهدي الراوي، "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات دولية، جامعة النهرين، بغداد، العدد ٣٥، ص ص ١٦٢– ١٦٣.

[٢١]عزت سعد السيد، روسيا وامن الشرق الاوسط .. بين الارهاب وايران، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠١، يوليو٢٠١٥ ، ص١٠٥.

[٢٢] ياسر عبد الحسين، منطقة الفراغ في العلاقات الدولية، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦، ص٩٧.

[٢٣]ناصر زيدان، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٧.

[٢٤]السيد أمين شلبي، "بوتين وسياسة روسيا الخارجية"، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام، القاهرة، العدد ١٧٥، المجلد ٤٤، يناير ٢٠٠٩، ص ٢٥٨.

ينظر ايضاً: جيمس سلادِن وآخرون، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط، مؤسسة راند، تاريخ الاسترجاع في ٩ ديسمبر ٢٠١٩، الرابط: **www.rand.org/t/PE236**

[٢٥] احمد عبد الله الطحلاوي، مصدر سبق ذكره.

[٢٦] خطابٌ ألقاه الرئيس فلاديمير بوتين خلال الجلسة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، نيويورك، في ٢٨ سبتمبر/أيلول٢٠١٥، اطلع عليه بتاريخ ١٨ يوليو/تموز، ٢٠١٩ ، الرابط:

http://en.kremlin.ru/events/president/news/50385

[27]**Aaron David Miller, The Shrinking: Why The Middle East is less and less important for the United States, Foreign Policy, Oct. 17/2013. At: http://www.foreignpolicy.com/articals/2013/10/17/the_shrinking_does_the_middle_east_matter?wp_login_redrict=0):-**

[٢٨] جيمس سلادِن وآخرون، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط، مصدر سبق ذكره.

[٢٩] بن كونابل وآخرون، توسيع واستغلال الحدود الفاصلة لشن الحرب الشاملة، تقرير تم إعداده لجيش الولايات المتحدة، مؤسسة راند، ٢٠١٦، ص١، الرابط: www.rand.org/t/rr1003

[٣٠] انطلاق مناورات ثلاثية لإيران وروسيا والصين في خليج عُمان وسط توتر مُستمر بين طهران وواشنطن، CNN بالعربية، ٢٧ ديسمبر ٢١٠٩، الرابط:

https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2019/12/27/joint-naval-drills-china-russia-iran-oman-gulf

[31] **The Economist, Russia and America: Donald Trump seeks a grand bargain with Vladimir Putin, Feb. 11 th 2017.**

[٣٢]المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، اوراق المركز، وحدة تحليل السياسات (تقدير موقف)، اتفاق استانا الثلاثي: خلفياته وفرص نجاحه، في ٢٠١٧/٥/٩، ص ص٣-٤.

[٣٣]المصدر نفسه، ص٥.

[٣٤]المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ص٦.

[35]**Jeffrey White, Russia`s Military Strategy in Syria Becoming Clearer as its Forces Engage in Combat, Oct. 9/2015. At http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/veiw/russias-military-strategy-in-syria-becoming-clearer-as-its-forces-engage-in**

[36]**Christina Lin, The Caspian Sea: China`s Silk Road Strategy Converges with Damascus. At: http://www.was-hingtoninstitute.org/policy-analysis/veiw/the-caspian-sea-chinas-silk-road-strategy-converges-with-damascus**

[٣٧]جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا...الابعاد الجيوسياسية لازمة ٢٠١١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص٢٠٩.

[٣٨] عزت سعد السيد، واشنطن وموسكو بين التباعد والتقارب، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠٣، يناير ٢٠١٦، ص١١٢.

[39] **Mark N. Katz, Exploiting Rivalries: Putin`s Foreign Policy, Annual Editions, 09/10, p.35.**

[٤٠] عزت سعد السيد، روسيا وامن الشرق الاوسط ..، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١١٠-١١٥.

[41]**Henry A. Kissinger, op.cit.**

[42] عماد الدين حاتم، المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد ١١٣، ٢٠٠٤، ص ٦٤.

[43] ناصر زيدان، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٢.

[44]**Dimitri Trenin, Russia and Iran: Historic Mistrust and Contemporary Partnership, *Carnegie Moscow Center, Aug/2016, At:* http://carnegie.ru/2016/08/18/russia-and-iran-historic-mistrust-and-contemporary-partnership-pub-64365**

[45] عماد الدين حاتم، مصدر سبق ذكره، ص٦٢.

[46] احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية تجاه روسيا الاتحادية، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص١٢٧.

[47]صدقي عابدين، التقارب الروسي– التركي، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد ١٣٢، المجلد ٣٣، أبريل ١٩٩٨، ص ٢٣٠.

* لعل احد اهم العقبات التي تجابه موسكو هو صعوبة الاقدام باي خطوة قد تؤدي الى قطع امدادات الغاز الطبيعي الى تركيا؛ لانها تعد من اهم المشاريع الاستراتيجية بين البلدين والتي جعلت من تركيا بوابة مرور الغاز الروسي نحو اوروبا، اذ ان أي قطع لهذه الامدادات لاسيما في خط انابيب (جازويست)، سيؤدي الى قطع الامدادات لدول اوكرانيا وبلغاريا ورومانيا. ينظر: موقع (تركيا بوست)، في ١٥ ديسمبر ٢٠١٥، http://www.turkey-post.net/p-96682/

[48] عماد الدين حاتم، مصدر سبق ذكره، ص٦٢.

[49] **Russian Direct Investment Fund and Mubadala Establish Co-Investment Fund, 20 May 2013, Recovery in 18 Jul 2018, At: https://rdif.ru/Eng_fullNews/253**
-See also: RDIF and Mumtalakat to Strengthen Economic and Investment Cooperation Between Bahrain and Russia, Mumtalakat CEO to join International Advisory Board of RDIF, 20 Apr 2014, Recovery in 19 Jul 2018, At: https://rdif.ru/Eng_fullNews/928
-See also: Qatar Fund Commits $2 Billion Investment to Russia: RDIF, 23 May 2014, Recovery in 18 Jul 2018, At: https://rdif.ru/Eng_fullNews/1038
-see also: RDIF Attracts Major Investment from the Middle East into the Russian Economy: Saudi Arabia's Sovereign Wealth Fund to Commit USD 10 Billion, 7 Jul 2015, Recovery in 18 Jul 2018, At: https://rdif.ru/Eng_fullNews/1489
-see also: Kuwait's Sovereign Wealth Fund Doubles Its Investment with RDIF to $1 Billion, 10 Nov 2015, Recovery in 18 Jul 2018, At: https://rdif.ru/Eng_fullNews/1544

[50]**Egypt, Russia Sign Deal to Build a Nuclear Power plant, *Reuters, 19 Nov 2015, recovery in 18 Jul 2019, At:* http://www.reuters.com/article/us-nuclear-russia-egypt-idUSKCN0T81YY20151119**

[51] **Rosatom Opens Regional Headquarters, *Khaleej Times*, 18 Jul 2016, Recovery in 6 Apr 2019, At: http//:www.khaleejtimes.com/business/companies/rosatom-opens-regional-headquarters**

[52] **Ruby Lian et al , Saudi Arabia, Russia Sign Oil Pact: May Limit Output in Future, *Reuters,5 Sep2016,* Recovery in 20 Dec 2019, At: http://www.reuters.com/article/us-g20-china-saudi-russia-oil-idUSKCN11B0UF**

[53] **Olesya Astakhova, Iraq Buys $4.2 Billion in Russian Weapons-Document, *Reuters, 9 Oct 2012,Recovery in 20 Jul 2018, At:* http//:www.reuters.com/article/us-russia-iraq-weapons-idUSBRE8980TX20121009**

[54] **Stockholm International Peace Research Institute, Nov 2016, Recovery in 20 Jul 2018, At: https://sipri.org/databases/armstransfers**

[٥٥] قناة RT العربية، الجبل الأسود تنضم رسميا إلى الناتو.. وموسكو تحتفظ بحق الرد، في ٢٠١٧/٦/٥.

https://arabic.rt.com/world/882116

[٥٦] قناة الحرة، مجلس الشيوخ يقر عقوبات جديدة على روسيا وإيران، ١٥يونيو ٢٠١٧.

https://www.alhurra.com/a/us-senate-sanctions-russia-iran/371049.html

[٥٧] موقع عرب ٤٨، الولايات المتحدة تغلق القنصلية الروسية في سان فرانسيسكو، ٢٠١٧/٨/٣١.

https://www.arab48.com

[58] **RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP], Sep 2016, Recovery in Oct 2018, At: www.rand.org/pubs/permissions.html**

[٥٩] جيمس سلادِن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص١١.

[٦٠] احمد عبد الله الطحلاوي، استعادة الدور: المحددات الداخلية والدولية للسياسة الروسية، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٦ نوفمبر ٢٠١٤، تاريخ الاسترجاع ٨ ديسمبر ٢٠١٩، الرابط: http://www.acrseg.org/16360

ينظر ايضاً: أوليسيا تكاشيفا، السياسة الخارجية الروسية في السياقين التاريخي والحالي، مؤسسة راند، ٢٠١٥، الرابط: www.rand.org/t/pe144

[٦١] نادية مصطفى، العدالة والديمقراطية: التغيير العالمي من منظور نقدي اسلامي، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٥، ص٢٤.

[٦٢] ايمانويل تود، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٤٢-٢٤٣ .

[٦٣] جيمس سلادِن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص٦.